التداولية في البحث اللساني المعاصر

د.سامان صلاح صابر
جامعة گرميان-فاكلتي العلوم الانسانية والرياضة

المدخل :

اللسانياتُ التداولية إتجاهٌ معاصرٌ رأى النورعلى ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر ، يبحث في الاستعمال اللغوي في السياقات المختلفة ، ويركز فيه أصحابه على علاقة المعنى بالعمل المنجز من القول تبعاً للأغراض والمقاصد التي تتنوَّع حسب المعارف والإعتقادات من جهة ، وحسب متداولي الخطاب - أي : حسب أغراض المتكلمين ، وأحوال المخاطبين - من جهة أخرى ، فهذه المعرفة هي التي تمكـِّن من التأويل الصحيح للعبارات والتراكيب ، والسياقات اللغوية .

والملاحظ أنَّ التداولية تُعْنى في سبيل دراستها للغة ، بأقطاب العملية التواصلية " إذ تهتم بالمتكلم ومقاصده بعدِّه مُحرِّكاً لعملية التواصل ، مع مراعاته لحال السامع أثناء الخطاب ، والاهتمام بالعوامل الخارجية المحيطة بتلك العملية ، ضماناً لتحقيق التواصل من جهة ، ولإستغلالها للوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى ،وبذلك ندرك أنَّ التداولية علمٌ تواصلي جديد ، ينطلق من مبدأ التواصل ويهتم بإيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللغوي ، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل ، وبهذا تصبح التداولية جديرة بأن تُنعت بـ : علم الإستعمال اللغوي[١].

وقبل الخوض في الأبعاد التداولية في البحث اللغوي المعاصر يتبادر إلى الأذهان سؤالٌ في هذا المقام ، وهو : أنَّ لكل مدونة نقطة بداية يُدلف من خلالها إلى ثباتها ، ووجدنا أن تكون نقطة البدءِ من التعريف بهذا المصطلح اللساني لنُبيـِّن الأصل الذي نَبعتْ منه هذه التسمية ، إذ لا يمكن البحث في دلالات أي مصطلح ،إلَّا بالرجوع إلى السياقات المختلفة التي ورد فيها ، والتركيز على الفروق الدقيقة بين معنى كلمة وأخرى ،فإنَّ المصطلح المحور يستدعي لزومًا مصطلحات فرعية تبين عنه وتعضده،ورصداً لما يفرضه البحث المنهجي،كان لابد أن يكون البدء من الأصل الذي هو (التداول) في النشأة ، والماهية ، والوجود ،ومجمل العوامل التي يتركب منها ويتميـَّز ، إذ يرجع هذا المصطلح في أصله اللغوي إلى الجذر (دَوَلَ)، وله معانٍ ودلالات مختلفة ، لكنها لاتخرج عن معاني التحوُّل والتبدُّل ،فـ (الله يداول الأيام بين الناس مرة لهم ، ومرة عليهم ... وتداولواً الشيء بينهم ،والماشي يداول بين قدميه : يراوح بينهما)[٢]، و(تداولنا الأمر : أخذناه بالدَّول ،وقالوا : دواليك " أي : مداولة على الأمر ... وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه ،فعمل هذا مرة "وهذا مرة)[٣].

تكاد هذه الإحالات اللغوية للمفاهيم التداولية في مبادئها العامة أن تكون تسجيلاً لحضورها في ثنايا تلك المصنفات ، إذ لا تخرج في معانيها للجذر (دول) عن معاني : التحوُّل ، والتبدُّل ، والإنتقال ، سواء أكان من مكان إلى آخر أم من حال إلى أخرى ،مما يقتضي وجود أكثر من طرف واحد يشترك في فعل التحول ،والتبدل،والتنقل و(تلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم ،إلى حال أخرى لدى السامع ،ومتنقلة بين الناس ،يتداولونها بينهم ، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتاً بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى كالذرائعية ، والنفعية ، والسياقية)[٤].

والتداولية مصطلح مركـَّبٌ من مورفيمين ،الأول : (التداول) من الفعل (تداول) ، وهي من صيغة (تَفَاعَلَ) ،التي تحمل معنى المشاركة، وهو أهم معنىً تستأثر به هذه المفردة ، وبذلك يكون هذا المصطلح جامعاً بين اثنين هما : التواصل والتفاعل ، فمقتضى التداول أن يكون القول موصولا بالفعل ، والثاني : اللاحقة (ية) التي تشير إلى البعد المنهجي والعلمي لهذا المصطلح .

ويخلص الباحث (طه عبد الرحمن) إلى أنَّ مجالات التداول يحمل معنى التواصل بين المخاطبين والتفاعل القائم فيما بينهم في استعمال اللغة ،ومقتضاه أن يكون القول المتلفظ به موصولاً بفعلٍ إجرائي ،وهذه الدلالات المعجمية للفعل تداول وإرتباطه المباشر بالممارسات التراثية ،هو ما جعل الباحثين يتلقـَّونه بالقبول حينما وضع الباحث المذكور آنفاً (التداوليات) مقابلاً للمصطلح الأجنبي (Pragmatics)[٥].

فالتداولية إذن تنظر إلى اللغة بصفتها نشاط يمارس من قبل المتكلمين لإفادة السامعين معنىً ما ، ضمن إطار سياقي ولا تكتفي بوصف البنى اللغوية في أشكالها الظاهرة ، إذ إنـَّها علمٌ حديث للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال مع اهتمامها بالبعد الاستعمالي أو الانجازي أو الإجرائي للكلام آخذة بعين الاعتبار كلاً من المتكلم والسياق ، فضلا عن

اهتمامها بنوعية العـَلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب التي تبث عبر وسائل الاتصال ، فيستعمل المتكلم سُبلاً مختلفة للإقناع ، والتأثير ، والأمر ، والإخبار ... إلخ .

وعليه فإنَّ الحديث عن التداولية وشبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العـَلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنَّها تضم بين دفتيها مستويات متداخلة ، كالتركيب اللغوي ، وأساليب الخطاب ، والاستدلالات التداولية ، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين ، وعـَلاقة التركيب بظروف الاستعمال [٦] .

وبدا لـ ((عبد الهادي بن ظافر الشهري)) أنَّ الباحثين عمدوا إلى ((المنهج التداولي ليمدهم برؤى مختلفة ، نتيجة لقصور الدراسات وإهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي ، أي : في الاستعمال التواصلي بين الناس))[٧] .

والاستعمال التـواصلي فيما بين النـاس لا يتحقـق إلاَّ مـن خلال الاهتمام بالكلام ، وهـذا الاهتمام ينضوي تحته كل من (الاتصال ، والتواصل) اللذان هما من أسباب التفاعل الانساني ، وهذا ما يجعلنا نذهب إلى القول : إنَّ الانسان كائن تواصلي ، فهذه الكينونة تقتضي وجود (وسائل) تسهل عملية التواصل و لا يخفى على أحد أهمية اللغة في تحقيق التفاعل التي شكلت عنصرَ بحث في المعارف التقنية إذ توالت الأبحاث لتسهيل عمليات الاتصال.

وأما المعارف الإنسانية فقد اهتم علم الإجتماع بالأدوار التفاعلية بين أفراد المجتمع ، واهتم علم النفس بتحليل سيكولوجيا المتخاطبين ، ويذهب هذا العلم إلى أبعد من ذلك لاسيما حينما يعكف على تحليل زلات اللسان ، وفلتات القلم [٨] .

التداولية مصطلحاً :

يجري تعريف التداولية بأنها ذلك المصطلح الموافق للمصطلح الإنكليزي (Pragmatics) ، وليس ترجمة للمصطلح الفرنسي (Pragmatisme) الذي يعني الفلسفة النفعية الذرائعية ، كمذهب فلسفي تجريبي عملي ، لا تقوم على معاني عقلية ثابتة أو تصوُّرات قبلية ، ترتبط بالواقع التجريبي ، إذ تحاول أن تفسِّر الفكرة ليس بمقتضياتها العقلية أو الحسية ، بل بتتبع وإقتفاء أثر نتائجها العملية ، ومن روادها كل من (وليام جونس ، وجون ديوي ، وشيلر ... وآخرون)[٩] .

ويعود السبق في استحداث هذا المصطلح في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي (تشارلز ساندرس بيرس " CH.S.PEIRSE ") حينما نشر مقالتين في مجلة " ميتافيزيقيا " سنة " ١٩٧٨-١٩٧٩ " تحت عنوان " كيف يمكن تثبت الإعتقاد " ،إذ أكد أنَّ الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية لأنَّه مقرون بقيمتين هما : متى يتم الفعل ؟ وكيف يتم ؟ فيكون مقترناً بالإدراك في حالته الأولى ، وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة ليصل إلى أنَّ الممارسة والتطبيق والفعل هي التي تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار[١٠] .

الملاحظ مما تقدم أنَّ بيرس جعل التداولية وثيقة الصلة بالمنطق ، بل عدَّها قاعدة منطقية ، من خلال ربطه ما بين الدراسات اللغوية والمنطق، فالتداولية عنده قاعدة منطقية تُعنى بتحديد معاني الألفاظ ، والأفكار ، والمفاهيم ، والقضايا ، والإشارات ، ومنه تحولت إلى أداة تفسير ونقد .

أمـَّا الفيلسوف الأمريكي (موريس CHARLES MORRIS) فيمثل أول من حدَّد وظيفة التداوالية في حقل اللسانيات إنطلاقاً من اهتمامه بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أوما يُعـرف بـ : " السيميائية " ، إذ ركَّزَ فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة كـ " التركيب ، والدلالة ، والتداولية " مُميـِّزاً ما بين هذه العلوم الثلاثة وهي :

- علم النحو أو التركيب (Syntax) وهو : يدرس العـَلاقات الشكليـة بين العلامـات اللغـوية بعضها ببعض .
- علم الدلالة (Semantics) وهو : يدرس عـَلاقة العلامات بالأشياء التي تؤول إليها هذه العلامات .
- علم التخاطب أو التداولية (Pragmatics) وهو : يدرس عـَلاقة العلامات بمفسريها وبمؤوليها .

ليصل إلى أنَّ التداولية جزءٌ من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، وهذا المفهوم يتعدى المجال اللساني إلى المجال السيميائي ،إذ ساعدت التأويلات التداولية للسيميائية دراسة الإتصال اللفظي في كتابه " أسس نظرية العلامات " للتقريب ما بين السيمياء واللسانيات[١١] .

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أنَّ هذا المصطلح لم يصبح مجالا يُعتدُّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلاَّ في العقد السابع من القرن العشرين ،وذلك بعد أن قام على تطويره ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أوكسفورد وهم: سيرل(Searle)، وجريس(Grice)، وأوستن(Austin)، إلاَّ أنَّ الأخير منهم يُرجـعُ الفضلُ إليـه في ظهـور التداوليـة منهجاً ونظرية ، وذلك أثر إصداره لكتابه الموسوم " كيف نصنع الأشياء بالكلمات " إذ تتحدد عنده التداولية على أنَّها جـزءٌ من دراسة علمٍ يُعْنى بدراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزءٌ من التعامل الإجتماعي ،وبهذا المفهوم ينتقل باللغة من المستوى اللغوي ، والنحوي ، والنفسي ، إلى المستوى الإجتماعي في نطاق التأثير والتأثُّرمن خلال توظيف اللغة لتحقيق التواصل [١٢].

فالتداولية إذن تدرس الإتِّصال اللغوي في إطاره الإجتماعي ، بالكشف عن المُعْطيات التي تُسْهم في إنتاج الفعل اللغويّ من جهة ، كما تبحث في فاعليته وآثاره العملية من جهة أخرى ،علماً أنَّ مدرسة أوستن اللغوية لا (علاقة لها بالتيار الفلسفي الذي نشأ في أمريكا ، والذي يحمل اسماً مُشابهاً إذ تُرجم في العربية بالذرائعية)[١٣].

ومن هنا يمكننا أن نُرجعَ أصلَ التداوليةِ إلى اتجاهين اثنين هما :

الإتجاه الأول : ينطلق في دراسة التداوليـة من كونهـا نظريـة في التعامل الإجتمـاعي تهـتم بالجانـب الإسـتعمالي " أي : استعمال اللغة بزعامة " أوستن " ، في السياقات المختلفة ، فيحاول تجاوز الطرح المتوارث للبنية اللغوية من أجل الكشف عـن الوظيفة الإنجازية للغة.

الإتجاه الثاني : اتجاه فلسفي منطقي ، يحاول بحث القضايا المعرفية من خلال آثارهـا العمليـة تعـود جـذوره إلى" بـيرس "الذي أطلق عليها اسم"البراغماتية " ،و" وليم جيمس " الذي سمَّاها بالذرائعيـة ،ومنـه فـإنَّ البراغماتيـة (اسمٌ جديـدٌ لطريقةٍ قديمة بدأت على يد سقراط ثمَّ تبعهُ أرسطو والرواقيون بعد ذلك)[١٤].

ونتيجة لتتعدد المنطلقات ، واختلافها في البحث التداولي حدث نوع من التداخل مع حقول معرفية أخرى ، فهـذا التـداخل أدَّى إلى تنوُّع المسميات من حيث المصطلح " لاسيما لدى ترجمتها إلى اللغة العربية منها :

مصطلح البراغماتية ، ومصطلح علم التـداول ، و مصطلح علـم التخاطب ، ومـصطلح علـم المقاصـد ، ومـصطلح المقاميـة ، ومصطلح السياقية ، ومصطلح الإفعالية ، وغيرها من المصطلحات التي هي في حقيقتها تكرّس الفوضى المـصطلحية ، ولايُـضفي على الدرس اللغوي بشيءٍ جديد ، علمـاً أنَّ الباحثين لم يتَّفقـوا على ترجمةٍ واحدة لهذا المصطلح ، إلَّا أنَّ بعضهم قد فضَّلَ ترجمةً على أخـرى لـسببٍ أو لآخـر ، و أرى أنَّ الـترجمـة الـفُـضْلى هـوَ " عـلـم الـتـخـاطـب " ، إذ بَـيَّـنَ (د . محمد محمد يونس) سبب ذلك في كتابه " مدخل إلى اللسانيات " * ، علمـاً أنَّ ثُلَّةً من الباحثين و الدارسين اتَّفَقُوا على ضرورة الأخذ بمصطلح "التداولية "[١٥].

وعليه فالإتجاه التداولي يهتم بالدراسات اللغوية إذ (تتلاقى فيه على وجه معين جملة من الميادين من المعرفة المختلفة أهمها : علم اللغة الخالص ، والبلاغة ، والمنطق ، وفلسفة اللغة ، و... علم الإجتماع ، وغيرها من العلوم المهتمة بالجزء الدلالي من اللغة)[١٦].

التداولية مفهوماً :

اهتم الدارسون بآثارتفاعل اللغة مع الظروف والمقامات في المجتمع ، وكيفية استعمالها داخل النظام الإجتماعي ، إذ يَحدُث التفاعل بين المُرسل والمتلقي ، فهي إذن تعتني بـ (الكيفية التي تتحقق بها اللغة عند الاستعمال وعند التخاطب ، وتندرج هذه القضايا كلها في إطار من الدراسات والنظريات تسمى عند أهل الإختصاص بـ : التداولية)[١٧].

وتعددت مفاهيم التداولية في الدراسات الألسنية الحديثة ، فهي تُعبِّر عن نظرية تهتم بالفائدة العلمية لفكرة كمعيار صدقها ، فضلاً عن اهتمامها بمقاصد المتكلم ، والبحث في أغوار معاني الكلام والمتكلم ، محاولةً اكتشاف الأغراض التي يُريدُها المرسل من خلال رسالته ، فقد تتعددى الدلالة المعنى الحرفي إلى المعنى المستمر فهي (فرع من علم اللغة يبحث كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم speaker intentions،أو دراسة معنى المتكلم speaker meaning، فقول القائل: أنا عطشانٌ ، تعني:أحضر لي كوباً من الماء ، وليس من اللازم أن يكون إخباراً له بأنه عطشان،فالمتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته)[١٨].

من خلال تقصينا لتحديد مفهوم علمي دقيق لهذا المصطلح ، أنَّ التداولية أكتسبت عدداً من المفاهيم بحسب اهتمام الباحثين أنفسهم ، فقد يكون اهتمامهم مُنصباً على دراسة المعنى في سياقه التواصلي بمنأى عن المعنى بمفهومه الدلالي فيعرَّف بـ (أنَّها دراسة المعنى التواصليِّ،أو معنى المرسل،في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله)[١٩]، وعرَّفَه (" فرانسوا ريكاناتي " FRANCOIS REGANATI) بأنَّها(دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدةً في ذلك على مقدرتها الخطابية)[٢٠] ، وإذا أردنا أن نُحلِّلَ هذا القول من أجل الوقوف على المقصود من هذا التعريف ، فإنَّنا سنُسجِّل ما يأتي :

- التداولية علمٌ يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الإستعمال .
- تسعى التداولية إلى الكشف عن المقدرة الإنجازية التي تُحقِّقُها العبارة اللغوية .
- التداولية بحثٌ في الدلالات التي تفيدها اللغة في الإستعمال .

والملاحظ أنَّ هذه المفاهيم تتجلَّى في تعريف (" فرانسيس جاك " FRANCIS JAQUES) الذي يرى أنَّ التداولية تتطرَّقُ (إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً)[٢١].

وهذا القول يمكن تجسيده في المخطط الآتي :

خطاب

مخاطب

القصد(متواضع عليه)

متكلم

إجتماعي

تواصلي

ومن خلال هذا المخطط نستخلص ما يأتي :

١- تهتم التداولية بالخطاب الذي يوظف اللغة أداة تواصلية في سياقٍ تعبيريٍ معيَّن من قبل المتكلم .

٢- على المخاطب استحضار كل مفاهيم إنتاج الخطاب المحيطة به لفهم المعنى الذي يقصده المتكلم .

فالتداولية تبحث في الإتصال اللغوي ضمن المفهوم الإجتماعي ، بالكشف عن المبادىء والمسلمات التي تُسْهِم في إنتاج الفعل اللغوي وتوليدها من جانب ، فضلاً عن دراسة فاعلية اللغة وآثارها العملية من جانب آخر .

وانطلاقاً مما تقدَّم بدا لي أنَّ التداوليةَ إذن : (تُعْنَى بالشروط ،والقواعد اللازمة الملائمة بين أفعال القول ومقتضيات المواقف الخاصَّة به : أي العَلاقَة بين النص والسياق)[٢٢] .

ومن هذه المفاهيم نُدْرِك أنَّ هذا المصطلح يدرس الإستعمال اللغوي في الإتصال اللساني وفق معطيات سياقية ، واجتماعية معيَّنة ، لذا عُرِّفَ بأنَّه (الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة ، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية ، والسياقات المرجعية ، والمقامية ، والحدثية ، والبشرية)[٢٣].

وفي هذا المقام لابد من الإشارة إلى أمرٍ غاية في الأهمية ، وهو أنَّ الإستعمال اللغوي تجاذبته علوم معرفية مختلفة وُفْقَ زوايا متنوعة ، وعليه ينبغي للسانيات التداوليةِ الإفادة من النتائج التي ثَقِرُها هذه العلوم من أجل الوقوف على الأنظمة والأقيسة الكلية التي تضبط الإنتاج اللغوي

كما تُعرَّف أيضاً من وجهة نظر المرسَل بأنَّها (كيفية إدراك المعايير والمبادىء التي توجه المرسَل عند إنتاج الخطاب، بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية،في ضوء عناصرالسياق، بما يكفل ضمان التوفيق من لدن المرسَل إليه عند تأويل قصده ، و تحقيق هدفه)[٢٤].

ومن هنا نُدرك أنَّ التداولية تتجاوز دراسة البنية للُّغة إلى دراستها في سياق استعمالها،ومراعاة كل ما يُحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتكلِّمين ، وإنطلاقاً من ذلك عرَّفها الباحث " الجيلالي دلاش " - وهو باحث أكاديمي مغربي يُعنى بالدراسات التداولية - بقوله : (تخصُّص لسانيٌ يَدْرسُ كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم

وخطاباتهم كما يُعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث)[٢٥]، ثـمَّ يُـرْدِفُ كلامه بإجمال تعريف هذا المصطلح بقوله : (هـي لسـانيـات الحـوار أو المَلَكَـة التبليغيـة)[٢٦] .

ويجعلها الفيلسوف المغربي " طه عبدالرحمن " تختصُّ بوصف كل : (ما كان مظهراً من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامَّة الناس وخاصَّتهم ... فالمقصود " بمجال التداول " في التجربة التراثية ، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامَّة النَّاس وخاصَّتهم)[٢٧] .

وتـأسيساً على مفهوم العام لـ (Pragmatics) في الدرس اللغوي الغربي الحديث " وهو دراسة اللغة حالَ الإستعمال " أي حينما تكون متداولةً بين مستعمليها ،اختار الباحث المذكور آنفاً مصطلح " التداوليات " مقابلاً لذلك المصطلح الغربي ، وفي ذلك يذكر أنَّه (وقع اختيارنا منذ عام ١٩٧٠ على مصطلح " التداوليات " مقابلاً للمصطلح الغربي " براغماتيقا " " لأنَّه يُوفي المطلوب حقَّهُ ، باعتبار دلالته على معنيين " الإستعمال " و " التفاعل معاً ")[٢٨]، ولقي منذ ذلك الحين قَـبولاً من قبل الباحثين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم ودراساتهم ومقالاتهم .

ويستند جهود " طه عبد الرحمن " في دراسة التراث إلى المنطق ، والفلسفة ، واللسانيات ، وينطلق من أنَّ الخطاب في حقيقته لغةٌ تبليغيةٌ تدلـيليـة توجيهيةٌ ، وعلم اللغة في نظره تقسم على ثلاثة مستويات هي :[٢٩]

١- الدَّاليات : وتضم بين دفَّتيها الدراسات العاكفة على الدال الطبيعي " وتمثلها العلوم الثلاثة : الصوتيات ، والصرفيات ، والتركيبيات .

٢- الدلاليات : وتتضمن الأبحاث الواصفة لعَلاقات الدوال ومدلولاتها ، سواء أكانت تصورات ذهنية أم أعيانها في الخارج .

٣- التداوليات : وتشمل الدراسات الواصفة لعَلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها ، وأبواب هذا القسم ثلاثة: أغراض الكلام ، ومقاصد المتكلمين ، وقواعد التخاطب .

وبذلك يتبيَّن للمخاطب أنَّ التداولية دراسة للغة أثناء استعمالها في سياق التخاطب ، أو في التواصل اللغوي، تقوم على مراعاة كل ما يحيط بهذه العملية ، للوصول إلى المعنى من جـهة ، وإحداث الأثر المناسب من جهة أخرى، حسب قصد صاحبه، مع البحث في الشروط اللاّزمة لضمان نجاح الخطاب وملاءمته لِلموقف التَّواصلي ، لأنَّ صناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي ، واجتماعي ، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما .

وتنفرد التداولية عن غيرها من اتجاهات الدرس اللساني في افتقارها إلى موضوعات مترابطة ، ووحدات تحليل خاصَّة بها " ولربـَّما يعود هذا إلى كونها نقطة إلتقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها وصلةً بينها وبين لسانيات الثروة اللغوية من جانب ، ومن جانب آخر دراستها للوظيفة العامة للغة (معرفية ، واجتماعية ، وثقافية) ،والحيلولة لإيجاد القوانين الكلية للإستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية على التواصل اللغوي ، وبذلك تصبح التداولية علماً للإستعمال اللغوي عوضاً عن دراسة اللغة ، فاللسانيات تتمحض لدراسة المستوى الثاني " أي : لدراسة المستويات الصوتية ، والتركيبية ، وربما الدلالية منها[٣٠]، في حين أنَّ دراسة استعمال اللغة (لا تنحصر ضمن الكينونة اللغوية بمعناها البنيوي الضيق ، وإنما تتجاوزها إلى أحوال الإستعمال في الطبقات المقامية المختلفة حسب أغراض المتكلمين ، وأحوال المخاطَبين فهي:

- دراسة الآليات المعرفية (المركزية) التي هي أصل الملفوظات وفهمها ، فالتداولية تقيم روابط وشيجة بين اللغة والإدراك عن طريق بعض المباحث في علم النفس المعرفي .
- دراسة الوجوه الاستدلالية للتواصل الشفوي فتقيم من ثمَّ روابط وشيجة بين علمي اللغة والتواصل)[٣١] .

وعليه فإنَّ الحديث عن التداولية وشبكتها المفاهيمية يفرض الإشارة إلى الوشائج القائمة بينها وبين المجالات المختلفة ، لأنَّها تشي بإنتمائها إلى حقول ومجالات مفاهيمية تضم مستويات مُتداخلة كالبنية اللغوية ، وقواعد التخاطب ، والاستدلالات التداولية ، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين ، وعلاقة البنية اللغوية وصلتها بظروف الإستعمال ، إذ يرى (د . مسعود صحراوي) أنَّ (التداولية تمثل حلقة وصل مهمة* بين حقول معرفية عديدة ، منها : الفلسفة التحليلية ، ممثلةً في فلسفة اللغة العادية ، ومنها علم النفس المعرفي ممثلاً في نظرية الملاءمة " Theorie de pertinence " على الخصوص ، ومنها علوم التواصل ، ومنها اللسانيات ، وعلوم اللغة بطبيعة الحال)[٣٢] .

إذاً فما شاع عن هذا المصطلح من تصورات خاطئة بأنَّه سلَّة لمهملات اللسانيات " تصور فيه نظر إذ تعدُّ كلُّ ظاهرة عَجِزَتْ اللسانياتُ عن حلِّها مجالاً للبحث التداولي ، وهذا يقتضي أنَّ الظواهر التي تدرسها التداولية ليست مهملة ، ولا متروكة بالضرورة ، ومن ثمَّ فهي تقوم بإزالة الغموض عن عناصر التواصل اللغوي ، وشرح طرق الاستدلال ومعالجة الملفوظات ، وهذه المباحث ليست من اهتمامات اللسانيات ، بل هي تشبه أن تكون مرحلة وسيطة ما بين المعارف اللسانية واللغوية ، والمعارف الموسوعية ، وعليه فأنها تستمد منهجها من رافدين هما :[٣٣]

الرافد المعرفي : (كما تقدمه بعض المباحث في علم النفس المعرفي) كالاستدلالات ، والاعتقادات ، والنوايا ....
الرافد التواصلي : أغراض المتكلمين ، واهتماماتهم ، ورغباتهم .....

مبادىء التداولية :[٣٤]

ومما مرَّ ذكره يمكننا أنَّ نستدل على أنَّ التداولية تُعيد النظر في المبادىء التي تتأسس عليها الأبحاث اللسانية والمتمثلة في كل من :

١- أسبقية الإستعمال الوصفي والتمثيلي للغة .
٢- أسبقية النظام والبنية على الإستعمال .
٣- أسبقية القدرة على الإنجاز .
٤- أسبقية اللغة على الكلام .

التداولية في التراث اللساني العربي :

دراسة عمليتي الإتصال والتواصل تعود جذورها إلى الدراسات التنظيرية في التراث اللساني العربي ، لاسيما عند كل من الجاحظ ، وأبي هلال العسكري ، وابن قتيبة ، وحازم القرطاجنِّي ، وغيرهم ، وكانت ذو طابعٍ معياري تهتمُّ بالأثر الناتج بصورة مباشرة عن الرسالة ، والشروط التي تجعل الخطاب ناجحاً ، وفي ذلك ملامح للتداولية الحديثة ، إذ ركَّز هؤلاء المنظرون على المرسل ، والمتلقي ، والرسالة ، وعمليتي التأثروالتأثير ، والقصد ، والمطابقة ، والسياق ، ونوايا المتكلم ، والفائدة من الكلام ، والإفهام ، وخصائص الاستعمال اللغوي ، وقواعد الاستعمال اللغوي لدى المتكلمين ، والتأويل .... وغيرها ، فهذه المباحث تعدُّ جوهر النظرية التداولية.

وتعددت سُبل الإهتمام بدراسة الخطاب عند العرب ، فتناولوا نص الخطاب في ذاته ، ودرسوا ما يرتبط بالمتكلم وطريقة أدائه ، والمخاطب وكيفية تلقيه ، ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر ومخالفته ، ومناسبات الخطاب ... إلى غير ذلك من المسائل التي يمكن أن يجمعها موضوع اللسانيات التداولية ، ويمكن أن تمثل بحق مبادىء رائدة للتفكير التداولي اللساني لدى العرب ، وفي هذا الصدد يقول " محمد سويرتي " إنَّ :(النحاة والفلاسفة المسلمين ، والبلاغيين ، والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة ، وعلماً ، ورؤية ، واتجاهاً أمريكياً ، وأوربياً فقد وظَّفَ المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر ، والعَلاقات المتنوعة)[٣٥] .

وظهر لـ " د . أحمد المتوكل " أنَّ الإنتاج اللغوي العربي القديم يؤول في مجموعه (نحوه ، وبلاغته ، وأصوله ، وتفسيره)*إلى المبادىء الوظيفية التداولية[٣٦] .

إنَّ الحديث عن موضوع اللسانيات التداولية في التراث العربي ليس تأصيلاً للمفاهيم المعروضة في اللسانيات الحديثة ، بقدر ما هو ضروري لبيان الامتدادات المعرفية للمدونة العربية ، وتقديم جانب من الأفكار الرائدة التي عرضها علماء العربية قديماً ، وإن لم تكن تحظى بالإحتفاء أحياناً من لدن بعض الدارسين إحتفاءَهم بكل وافد حديث من المقولات الأوربية .

ويُشير " محمد العمري " إلى أنَّ للتداولية الحديثة بُعْدٌ " جاحظي " في أصله وجوهره ، لاهتمامه وتأكيده على هذا المستوى في مصنَّفه " البيان والتبيين " لاسيما على عمليتي التأثير في المتلقي ، والإقناع ، وسُمِّيت هذه النظرية عنده بـ "

نظرية التأثير والمقام " ، والتي تعرف اليوم بالتداولية ، إذ يقول : (إنَّ هذا البعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية ، وهو بعد جاحظي في أساسه ، وإنْ تخلى البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة العربية وتضيق مجالها ، وتحظى نظرية التأثير والمقام حالياً بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية ، ومن ثم الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو التداولية)[٣٧] .

وتتجلى جذور التداولية عند " الجاحظ " من خلال تقسيمه للبيان على ثلاث وظائف ، مع اهتمامه بالوظيفة التأثيرية التي تمثل إتجاهاً مميزاً في التداوليات الحديثة ، ويردف الجاحظ قائلاً : (يمكن إرجاع وظائف البيان ، إعتماداً على كل ما سبق إلى ثلاث وظائف أساسية هي :

١- الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية : (حالة حياد ، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام) .
٢- الوظيفة التأثيرية : (حالة الإختـلاف) تقديم الأمر على وجه الإستمالة ، وجلب القلوب .
٣- الوظيفة الحجاجية : (حالة الخصـام) إظهار الأمر على وجه الإحتجاج والإضطرار)[٣٨] .

فكل هذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة بصفتها مقاربة تهتم بالتواصل في الدرجة الأولى ، والإقناع ، والتأثير ، وإيصال المعنى ، وتقديم الفائدة ، ومنه فإنَّ غايتها منفعية بحتة .

وظهر لـ " الجاحظ " أنَّ (المعاني القائمة في صدور الناس ، المتصورة في أذهانهم والمتخلّجة في نفوسهم ... مستورة خفية ، وبعيدة ، وحسيّة ، محجوبة مكبوتة .... لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه ، وخليطه ... إلاّ بغيره ، وإنَّما يُحيي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إيـّاها ، وهذه الخصال هي التي تقربها بها إلى الفهم وتجليها للعقل ... وتجعل المهمل معبداً ، والمقيد مطلقاً ... وكلما كانت الدلالة أوضح ، وأفصح ، كانت الإشـارة أبين وأنور ... وأنجح ...)[٣٩] .

إنَّ معالم المنهج التداولي بدا واضحاً في هذا النص ، من خلال الحديث عن ضرورة استعمال المعاني ، فالإخبار عن المعنى هو الذي يضمن تقريبه إلى الفهم ، إذ يركز على ضرورة إفهام المخاطب ، وإبلاغه فحوى الرسالة الأدبية ، كما يشترط " الجاحظ " أن يكون استعمال المعاني مفيداً ومحققاً لقصد المتكلم ، أي : تحقيق التواصل الفعال ، والإفادة ما بين المخاطِب والمخاطَب ، وربما قارب هذا المفهوم في بعده التبليغي الغرض التداولي للخطاب التواصلي في المقامات المختلفة من وجهة نظر حديثة ، ولعله الهدف الرئيس الذي تسعى التداولية المعاصرة على إنجازه في الخطابات المتحققة ، و لما كان من المستحيل أن يقتنع المتلقي بما هو غامض ، وغير مفهوم في الخطابات المنجزة والمبلغة ، ازدادت عناية الجاحظ بالبيان الذي عُدَّ أهم المباحث اللغوية عنده ، ويتوزع البيان في نظريته على مستويين اثنين هما : المستوى التداولي الإقناعي ، والمستوى المعرفي الذي يُعنى بالمعاني والدلالات بصورة عامة ، وبذلك يكون قد حصر البيان في اللفظ ، وربط الإقناع بالتداول ، وتوصل إلى هذا المستوى البلاغي الدقيق في البيان انطلاقا من الوظيفة التواصلية * .

وربما تعود أول إشارة إلى قضية التواصل الأدبي ، أو التداولية في التراث العربي إلى " ابن قتيبة " في مصنفه " الشعر والشعراء " من خلال حديثه عن : (تهيئة المخاطب نفسياً ليتقبل ما يقصده الخطاب ، والإنفعال به انفعالاً ظاهراً)[٤٠] .

والملاحـظ أنَّ هذا الناقد انتهى إلى حقيقة مفادها أنَّ على الشاعر أنْ يسير في قصيدته وفق خطة مرسومة سلفاً ، يبـدأ فيها بالنسيب ثمَّ يـردفه بذكر مشاق السفر ، ثمَّ يُعرِّج على وصف ناقتـه ، فيبثها أشجانـه ، من ثمَّ ينتقل إلى مدح صاحبه ، بعد أن يكون أثار انتباهه ، وهيـَّأه نفسياً إلى شعره ...[٤١] .

وفي هذا المقام لايفوتنا الإشارة إلى " عبد القاهر الجرجاني " الذي يُشير إلى عملية التواصل في أكثر من موضع ، إذ إنَّه يؤكد على دراسة وضعية المخاطب اتجاه النص الشعري ، ويتحدث عن عمق المعنى ، ووضوحه ، ويرى أنَّ التواصل الذي يكون نتيجة لتعب وكـد وإعمال فكر ، هو التواصل الذي يُعجب فيه المتلقي بالخطاب الشعري .

أما إذا انتقلنا إلى " حازم القرطاجني " فإنَّنا نجده لا يعد الكلام الذي لايدل على معنىً كلاماً ، وهو هنا يُشير إلى فكرة القصد ، إذ يجعل الفائدة المتداولة بالقصد ، فيقول : (لمَّا كان الكلام أولى الأشياء ، بأن يجعل دليلاً على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهما ...)[٤٢] .

فالكلام الذي يكون دليلاً على المعنى ، يشكل أساس الدراسات اللسانية الحديثة ، والتفاهم الذي قصده هنا ما هو إلاّ لتحقيق التواصل ، وهذا يدخل في نطاق التداولية التواصلية ، أي كلام مرسل يحمل قصداً ومعنىً وفائدةً ، يريد المتكلم

إيصالها إلى المتلقي ، فهو هنا يركز على المنفعة ، والخطاب الذي لا يحقق منفعة ، فإنَّه لا يحقق أي تواصل انطلاقاً من قوله : (... المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها ، أي احتياجهم إلى تحصيل المنفعة)* ، إذ نتلمس تصوره التداولي من خلال ثلة من النصوص لعل من أبرزها قوله : (لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يُجعلَ دليلاً على المعاني التي احتاج الناس الى تفهمها بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم بعضا على تحصيل المعاني ، وإزاحة المضارّ)* .

يُحيل هذا النص إلى أسس البعد النفعي الذي ترمي إليه العملية الإبلاغية بصورة شاملة ، و العملية الإبداعية ممثلة في المنجز الشعري بصورة خاصة ، والذي يقوم بشكل خاص على عنصري التأثر و التأثير ، وهذا ما تركز عليه اللسانيات التداولية في تحليل الخطاب ، إذ يُلمِّحْ إلى ضرورة احترام مقاصد المتكلم ، المتحكمة بدورها في الأثر الذي يسلطه النص على المتلقي ، و هذه المقاصد حالية تقرأ قراءة سياقية ، و من ثم جزء لا يتجزأ من المقام الذي يحتل في التصور التداولي لحازم القرطاجني مكانة متميزة * .

وبذلك يتضح لنا أنَّ " حازم القرطاجني " : (يتفطَّن للبعد البراغماتي أو التداولي في العملية التواصلية ، إنَّ هذا التصور النقدي للتواصل الشعري متطور جداً ، ويعكس عمقاً في النظرة ووعياً بعناصر التجربة الشعرية باعتبارها تجربة لغوية نفسية يكتنفها اطار اجتماعي ، ومقام خارجي تؤثر فيه وتتأثر به ...)[٤٣] .

فضلًا عن إشارته إلى المنفعة ، والقصد ، والإفهام ، يُشير إلى قضية التأثير بين المتكلم والمتلقي ، ويراه ضرورياً في العملية التواصلية بقوله : (وجب أن يكون المتكلم يبتغي إما إفادة المخاطب أو الإستفادة منه ... أو بعضها بالقول)[٤٤] ، ويقسم حازم القرطاجني ردود الفعل الذي يُثيرها المتكلم في المخاطب على ثلاثة أقسام هي : ١- ردود فعلٍ عملية ، ٢- ردود فعلٍ سلوكية ، ٣- ردود فعلٍ وجدانية * .

وإذا تطرقنا إلى " سرِ الفصاحه " لـ" ابن سنان الخفاجي " سنجده يردف قائلا : (والكلام يتعلق بالمعاني والفوائد بالمواضعة ، لا لشيء من أحواله ...)[٤٥] .

فمما مرَّ ذكره يتبيَّن أنَّ " ابن سنان الخفاجي " يشير ضمنياً إلى التداولية الحديثة ، وذلك إثر حديثه عن الفائدة التي نرجوها من الكلام ، فهو يشترط في الكلام الصحيح الإنتظام والفائدة ، وإلاَّ فلا يمكن عدَّه كلاماً ، إلاَّ إذا حقق الفائدة المرجوة منه ، أي : أنَّ الكلام عنده له وظيفة نفعية ، فضلاً عن حديثه عن المواضعة ، والقصد ، واستعمال المتكلم له ، أي استعمال اللغة في قصد[٤٦] .

ويبدو أنَّ ملامح البحث التداولي تجلت بشكلٍ ملفت للنظر لدى السكاكي من خلال وصفه المبرمج لعناصر العملية التواصلية ، و ربطها بمقتضى الحال " لأنَّ المتلقي و أحواله ، تُسهِم مساهمة فعَّالة في فهم المقاصد فهماً دقيقاً ، محدداً نوعية الكلام المرسل من المتكلم أيضاً ، إذاً المتلقي سيكون خالي الذهن ، أو متردداً في الحكم ، أو منكراً له ، و أحياناً قد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فيجعل غير السائل – و هو خالي الذهن – كالسائل ، أو ربما يجعل غير المنكر كالمنكر ، و المنكر كغير المنكر[٤٧] .

إنَّ القراءة الموازية لنص السكاكي تُكشف عن أوضاع غير لسانية حسب ما ذهب إليه (د . نعمان بو قرَّة) إذ نبَّه على ضرورة مراعاة مقتضى الحال ، وتمعين العلاقة الوثيقة بين المتلقي و المقام ، و وجوب الالتفات إلى تغاير أغراض الخطاب[٤٨] ، وفي ذلك يُشير السكاكي إلى أنَّ (مقام الكلام إبتداءً يُغاير الكلام بناءً على الإستخبار أو الإنكار ، و مقام البناء على السؤال يُغاير مقام البناء على الإنكار ، و كل ذلك معلوم لكل لبيب ، و كذا مقام الكلام مع الذكي يُغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر)[٤٩] .

إذن (بتغير حال المتلقي يتغير قصد المتكلم ، و تتعيَّن حينها مقصدية الإفهام و استجابة المتلقي ، كما تتمركز نظرية الأفعال الكلامية في بؤرة اهتمامه بالأساليب الإنشائية من حيث : البنية ، و الدلالة ، و الغرض)[٥٠] .

ويمثل السكاكي أنموذجاً عربياً متميزاً لبيان التفكير التداولي ، إذ عُدَّ آراؤه أساساً نظرياً للسانيات التداولية العربية بصفة عامة ، و لنظرية الأفعال الكلامية بصفة خاصة ، لأنَّ بلاغته جمعت ما بين النحو ، و المنطق ، و الشعر[٥١] .

و من خلال ما تقدَّم نستدل أنَّ لهذا المصطلح موطِىء قدم في رحاب التراث اللغوي العربي ، كما ثقفتها التراث اللساني الغربي ، بل يُعَدُّ علم البلاغة تطبيق عملي لما يُسمَّى اليوم بالتداولية في البحث اللغوي الحديث ولها حضور متميِّز ، و هذا دليل على أنَّ هذه اللغة لغة تواصلية ، فالدراسات اللغوية التراثية جعلت من اللغة

نظاماً معقدا للاتصال ، يجاوز مستويات الصياغة اللفظية والنصية إلى دراسة الحدث اللغوي إنطلاقاً من دائرة الإتصال الإجتماعي ، أي : الانتقال باللغة من مستوى النص كنظام إلى مستوى التواصل ، و الإهتمام بمقاصد الخطاب (و مغزاه في عملية الفهم و الإفهام ، ثم محاولة استثمار هذه الأطر النظرية بمفاتيحها الإجرائية في قراءة النص الإبداعي العربي و تحليله بشكل عام ، في ضوء استحضار منظومة القيم الثقافية و الإسلامية ، التي شادها مفكرو الإسلام من خلال وعيهم العميق بسياقات إنتاج الدلالة ، واستقطاب المعنى المركزي)[٥٢].

الخاتمة:

لعله قد ظهر مما قدمت ما للاتجاه التداولي من أهمية بالغة في الدرس اللغوي، فهو يقدم أنموذجاً لدراسة اللغة التي نتخاطب بها،وليس للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه ، إذ تنوعت مصادر استمداده ، فلكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل معرفي انبثق منه ، فالأفعال الكلامية مثلا مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي عام ، هو تيار الفلسفة التحليلية ، بما احتوته من مناهج و تيارات و قضايا ، و نتيجة لذلك لعلي أشير هنا إلى أهم ما خلص إليه البحث:

- § لا فائدة من دراسة اللغة دراسة شكلية بعيدة عن السياق الاجتماعي والثقافي، بل لا بد من ا تحاد الاثنين.
- § من أهم أهداف الدراسة التداولية: عدم الاعتماد على المعنى الحرفي لمعرفة مقاصد المتكلم فقط .
- § تقوم الدراسة التداولية على دراسة المعنى الذي يرمي إليه المتكلم من خلال ما يقول. ودراسة عمليات الاستدلال التي يقوم بها المتلقي، وهو يحلل الخطاب حتى يصل للمعنى المطلوب.
- § تتطلب الدراسة التداولية النظر في مضمون كلام المتكلم، وفق اعتبارات مختلفة منها: هوية المخاطب، ومكان الخطاب، وزمن الخطاب، والظروف التي تكتنف الخطاب ، مع بيان معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في الحدث الخطابي، والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوقائع الخارجية ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، ونوع العلاقة الاجتماعية التي تربط بين الأطراف، هي أهم ما تركز عليه التداولية.
- § إن عمود التلقي فكرة ذات بعد تداولي ، وجدت تربة خصبة في التراث العربي ، وهي عمل مكمل لعمود الشعر العربي القديم .
- § الإحالة إلى عنصر لغوي سابق أو لاحق ،هو الحكم في تنكير عنصر لغوي أو تعريفه. و المتكلم يراعي حال المخاطب، فإذا قدر علمه بالشيء استخدمه معرفة، وإذا قدر جهله به استخدمه نكرة ليعلمه به.
- § يشكل المتكلم المركز الذي من خلاله يمكن أن نحدد مسألة نسبية القرب والبعد المادي والاجتماعي، بالنسبة لأطراف الخطاب.
- § تعمد الدراسة التداولية إلى دراسة الأفعال الكلامية التي تنجز من خلال عملية الخطاب، كالالتماس والرجاء والشكر والعتاب والنصح والوعد.
- § يمكن القول بأن التداولية وجه من وجوه البلاغة ، و لقد اتضح أن الدرس البلاغي القديم قد عرف نظرية بلاغية متطورة جدا ، و هي نظرية للتواصل عند كثير من الدارسين لا تختلف عما تعرضه اللسانيات التداولية الحديثة.
- § تتلخص دراسة التداولية في : استعمال اللغة ، التي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ، بل دراسة اللغة لدى استعمالها ، في الطبقات المقامية المختلفة ، بصفتها كلاما محددا ، يصدر من متكلم محدد ، موجها إلى مخاطب معيَّن بلفظ محدد وهي ، وسيلة التواصل و التخاطب البشري ، في مسار تطور المعرفة اللغوية قديما و حديثا ، لتحقيق غرض تواصلي بعينه .
- § تميز التداولية بين معنيين في كل ملفوظ أو فعل تواصلي لفظي.الأول هو القصد الإخباري أو معنى الجملة، والثاني القصد التواصلي أو معنى المتكلم.إن القدرة على فهم وإنتاج فعل تواصلي يطلق عليها "الكفاءة التداولية" والتي تتضمن معرفة المرء بالمسافة الاجتماعية والمرتبة الاجتماعية بين المشاركين في الموقف، وكذلك المعرفة الثقافية والمعرفة اللغوية الظاهرة والضمنية، ومن بين مظاهر اللغة التي تدرسها التداولية المشيرات، والتي تشير

إلى المعنى السياقي للضمائر ومفردات المكان والزمان، والفرضيات المسبقة التي تشير إلى المعنى المنطقي لجملة مـا أو تلك المعاني المقترنة منطقياً بالجملة .

§ فمن خلال تحليل عناصر العمل التخاطبي يمكن الوصول إلى ترتيب أكثر انتظاماً للأفكار التداوليـة، فنضع الفكرة التداوليـة في هذه المحاور، بحيث لا نهمل أية مسألة من مسائل التداوليـة، كما لا نقحمهـا بشكل غير مترابط ، وكل مـا يخرج بهذا التقسيم عن سيرورة العمل التخاطبي لا يهم لأنه لا يعد من اهتمامات الدرس التداولي .

هوامش البحث ومصادره :

١- مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي : ١٢٣ ، دار الكتاب الجديد، بيروت.

٢- أساس البلاغة للزمخشري ، تحقيق : عبد الرحيم محمود ، و آخرون : ١٣٩ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت / لبنان .

٣- القاموس المحيط للفيروز آبادي ، ضبطه يوسف الشيخ محمد البقاعي : مادة (دول) ، ٩٠٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، ط ١ .

٤- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم لخليفة بوجادي: ١٤٨ ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، العلمة / الجزائر ، ط١ .

٥- في أصول الحوار و تجديد علم الكلام للدكتور طه عبد الرحمن : ٢٧ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٠ م .

٦- ينظر : التداولية عند العرب " دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي " للدكتور مسعود صحراوي : ١٦ ، دار الطليعة ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .

٧- استراتيجيات الخطاب " مقاربة لغوية تداولية " لعبدالهادي بن ظافر الشهري : ٢١ ، دار الكتاب الجديد ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م .

٨- ينظر : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، لكل من : آن روبول ، و جاك موشلار : ٢٧ – ٢٨ ، ترجمة : الدكتور سيف الدين دغفوش ، والدكتور محمد الشيباني ، مراجعة : الدكتور لطيف الزيتوني ، دار الطليعة للنشر والتوزيع ، بيروت / لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .

٩- ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، لمحمود أحمد نحلة :٩،الإسكندرية، دار المعرفة، ٢٠٠٢م ، المقاربة التداولية ، لأرمنيكو فرانسوز : ٥٢ ، ترجمة : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، ١٩٨٦ م .

١٠- ينظر : محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،للدكتور نعمان بوقرة : ١٧٦، منشورات باجي مختار، عنابة، ٢٠٠٦ .

١١- ينظر : استراتيجيات الخطاب : ٢١ .

١٢- ينظر : المقاربة التداولية : ٩٦ .

١٣- المصدر نفسه : ٩٩ .

١٤- المصدر نفسه : ٩٩ . * ينظر : مدخل إلى اللسانيات : ١٠٢ .

١٥- ينظر : المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، للدكتور عبد الرحيم بن عيسى : ١٠ ، مجلة دراسات أدبية ، مركز البصيرة للبحوث والإستشارات والخدمات التعليمية ، العدد الأول : ٢٠٠٨ م – ١٤٢٩هـ ، الجزائر .

١٦- التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون ، للدكتور نعمان بو قرة : ٨٣ ، مجلة الرافد ، ٢٠٠٦م.

١٧- مبادىء في اللسانيات ، لخولة طالب الإبراهيمي : ١٦٥ ، مكتبة الآداب – القاهرة – مصر ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .

١٨- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٢ – ١٣ . .

١٩- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٢٢ .

٢٠- المرجعية اللغوية في النظرية التداولية : ١١ .

٢١- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، لنعمان بوقرة :١٧٦ ، منشورات باجي مختار، عنابة، ٢٠٠٦ .

٢٢- بلاغة الخطاب و علم النص ، للدكنور صلاح فضل : ٦٥ ، مكتبة لبنان ناشرون ، و الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .

٢٣- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه: ٢١٤ ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار اللاذقية.

٢٤- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية : ٢٢ .

٢٥- مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ترجمة : محمد يحياتن : ١ ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ، الجزائر ، ١٩٩٢ م .

٢٦- المصدر نفسه : ١ .

٢٧- تجديد المنهج في تقويم التراث ، للدكتور طه عبد الرحمن : ٢٤٤ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط ٢ .

٢٨- ينظر : المصدر نفسه : ٢٤٨ .

٢٩- ينظر : المقاربة التداولية، لأرمنيكو فرانسوز :٩٥ .

٣٠- ينظر : تداولية النص الشعري ،جمهرة أشعار العرب – نموذجا - ، لـ " شيتر رحيمة " : ٨٣ ، اطروحة دكتوراه ، في كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، بجامعة الحاج لخضر باتنة ، الجمهورية الجزائرية ، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد القادر الدامخي .

٣١- المصدر نفسه : ٨٥ .

٣٢- التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي ، للدكتور مسعود صحراوي : ، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت .

٣٣- ينظر : بلاغة الخطاب و علم النص : ٩٩ ، المقاربة التداولية : ٤٨ .

٣٤- ينظر : تداولية الخطاب المسرحي " عصفور من الشرق " لتوفيق الحكيم – نموذجا – لـفطومة لحمادي : ٥٨٦ ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء و النص الأدبي " .

٣٥- اللغة و دلالاتها ، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي – مقال – مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، دولة الكويت ، مجـ ٢٨ ، ع ٣ ، يناير / مارس ٢٠٠٠ م : ٣٠ – ٣١ .

٣٦- ينظر : اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، لـ " أحمد المتوكل " : ٣٥ ، منشورات عكاظ – المغرب ، ١٩٨٩ م ،* " تخص العلوم المذكورة آنفا ، فهو موضوع دراستها وبذلك فالوصف اللغوي آنـذاك لـم يكـن منصبـا على التركيب المجرد من مقامات إنجازه ، بقدر ما نظر إلى النص بعدّه خطابا متكاملا " لأن الوصف اللغوي ربط ما بين المقام والمقال ، وبيَّن خصائص الجمل الصورية – اللفظية – و خصـائصها التداوليـة ، ينظـر : التفكير اللغوي التداولي عند العرب مصادره ومجالاته للدكتور خليفة بوجادي ،التدريسي في قسم اللغة العربية بجامعة سطيف : ٣ .

٣٧- البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها ، لـمحمد العمري : ٢٩٣ ، أفريقيا الشرق – المغرب ، ١٩٩٩ م .

٣٨- البيان والتبيين ، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ١/ ٧٥ ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الجاحظ – مصر ، ط ٤ ، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

٣٩- المصدر نفسه : ١ / ٧٥ ، * ينظر : ملامح التفكير التداولي البيـاني عند الأصوليين ، للدكتور نعمان بو قرة : ١١٠ – ١١١ ، مجلة اسلامية المعرفة ، العدد : ٥٤ ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ، والملاحظ أنَّ الجاحظ ينقل نصا ذا فائدة مهمة من حيث اهميتة المعرفية ، و اللغوية ، إذ يمسُّ جوهر التصور التداولي وفي ذلك يردف قائلا : ((المعاني القائمة في صدور الناس ، المتصورة في أذهانهم ، والمتغلغلة في نفوسهم ، والمتصلة بخواطرهم ، والحادثة عن فكرهم ، مستورة خفية ، وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة ، وموجودة في معنى معدومة ، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبة ، و لا حاجة أخيه ... وإنما يُحي تلك المعاني ذكرهم لها ، وإخبارهم عنها ، واستعمالهم إياها ، وهذه الخصال هي التي تقربها من الفهم ، وتجليها للعقل ، وتجعل الخفي منها ظاهرا ، والغائب شاهدا ، والبعيد قريبا ، و هي التي تخلص الملتبس ، وتحل المنعقد، و تجعل المهمل مقيدا ، والقيد مطلقا ، و المجهول قريبا ، ... وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة ، وحسن الإختصار ، و دقة المدخل يكون إظهار المعنى ، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، و كانت الإشارة أبين وأنور ، كان أنفع و أنجع ، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان)) ، البيان و التبيين : ١/ ٧٥ .

٤٠- مجلة الوصل ، معهد اللغة و الأدب العربي ، جامعة تلمسان ، العدد الأول ، ١٩٩٤ م ، نظرية المقاصد بين حازم و نظرية الأفعال اللغوية المعاصرة ، لـمحمد أديون : ٢٥ ، جامعة الرباط – المغرب ، كلية الآداب .

٤١- ينظر : المصدر نفسه : ٢٦ .

٤٢- المصدر نفسه : ٢٥ ، *منهاج البلغاء و سراج الأدباء ، لحازم القرطاجني : ٢١٠ ، تح : محمد الخوجة ، دار الغرب الاسلامي – بيروت ، *المصدر نفسه : ٢١٦ ، * ينظر : نظرية المقاصد بين حازم و نظرية الأفعال اللغوية : ٢٦ ، و ملامح التفكير التداولي البياني عند الاصوليين : ١١٥ .

٤٣- المصدر نفسه : ٢٦ .

٤٤- المصدر نفسه : ٢٦ ، * ينظر : التداولية منهج لساني و استراتيجية لتحليل الخطاب ، لـسعد بولنوار:٢٥.

٤٥- سر الفصاحة ، لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلي : ٤٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط ١ ، ١٩٧٦ م .

٤٦- ينظر : المصدر نفسه : ٤٣ – ٤٤ .

٤٧- ينظر : مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب السكاكي : ٧٠ ، دار الكتب العلمية – بيروت . د . ت .

٤٨- ينظر : ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين : ١١٢ .

٤٩- مفتاح العلوم : ٧٣ .

٥٠- ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين : ١١٢- ١١٣ .

٥١- ينظر : البلاغة العربية ، أصولها ، و امتدادها ،لـمحمد العمري : ٢٧ .

٥٢- في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، للدكتور طه عبد الرحمن : ٢١ ، الدار البيضاء ، المؤسسة الحديثة للنشر و التوزيع ، ١٩٨٧ م .

Abstract

Linguistics deliberative direction contemporary saw Anural Square Lesson lingual modern and contemporary, looking at the use of language in different contexts, and focuses his companions on the relationship meaning the work done than to say depending on the purposes and objectives that vary depending on the knowledge and beliefs on the one hand, and by traders discourse - is: by purposes speakers, and the conditions of the target audience - on the other hand, this knowledge is what enables the correct interpretation of the words and structures, and linguistic contexts.

It is noticeable that the deliberative means in order to study the language process communicative; as interested and purposes after the engine of the communication process, with observance of the event listener during the speech, and attention to external factors surrounding this process, to ensure the achievement of communication on the one hand, and using them to reach the purpose speaker and purpose of his other hand, and thus realize that deliberative aware communicative new, stems from the principle of communication and is interested in preserving law college for use of language, and to identify the human capacity to communicate, and thus become deliberative worthy described as b: science linguistic usage .

Before getting into the deliberative dimensions in contemporary linguistic research question comes to mind in this regard, which is: that every code entering the starting point from which to test, and found to be the starting point of the definition of this term lingual parent to show that stemmed from this label, can not be search in semantics any term, only by reference to the different contexts in which states, and focus on the subtle differences between the meaning of the word and the other, the term axis calls for Zama terms subset found him and would support, and monitoring what poses methodological research, was must be the start of an asset that is (trading) in the origination, essence, and existence, and the overall factors that composed them and

characterized, as is due this term in its original language to the root (countries), with meanings and different connotations, but to graduate for the meaning of transformation and turnover.